بسم الله الرحمن الرحيم

الهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ وَبِنَاءُ المُجْتَمَعِ

الحَمْدُ للهِ مُسَيِّرِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَمُصَرِّفِ الشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ، المَلِكِ القُدُّوسِ السَّلامِ، سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ، تَفَرَّدَ بِالسَّرْمَدِيَّةِ وَالعَظَمَةِ وَالدَّوَامِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، حَيٌّ قَيُّومٌ، لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، بَدْرُ التَّمَامِ، وَمِسْكُ الخِتَامِ، رَسُولُ الرَّحْمَةِ وَالسَّلامِ، صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ وَالتَّابِعِينَ الكِرَامِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ القِيامِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاتَّقُوا اللهَ تَعَالَى وَأَطِيعُوهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ مَنْ بَادَرَ إِلَى الأَعْمَالِ اسْتَدْرَكَهَا، وَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ مَلَكَهَا، وَمَنْ طَلَبَ التَّقْوَى بِصِدْقٍ أَدْرَكَهَا، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾[1].

أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

إِنَّنَا عَلَى أَعْتَابِ شَهْرِ اللهِ المُحَرَّمِ، نُوَدِّعُ بِدُخُولِهِ عَامًا هِجْرِيًّا مَضَى، وَنَسْتَقْبِلُ بِهِ عَامًا جَدِيدًا قَادِمًا، تَتَجَدَّدُ فِيهِ دَوْرَةُ الأَوْقَاتِ وَاللَّحَظَاتِ، وَالوَقَائِعِ وَالأَحْدَاثِ، بِتَتَابُعِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُۚ فَلَا تَظۡلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمۡ ﴾[2]، وَالعَاقِلُ مَنْ يَجِدُ فِي انْقِضَاءِ الأَيَّامِ وَالأَزْمَانِ، وَتَجَدُّدِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، آيَاتٍ لِلتَّأَمُّلِ وَالتَّفَكُّرِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَّقُونَ ﴾[3]، وَالعَاقِلُ كَذَلِكَ، مَنْ يَجْعَلُ مِنْ هَذِهِ الآيَاتِ الكَوْنِيَّةِ وَتَعَاقُبِهَا مَحَطَّاتٍ لِلْوُقُوفِ مَعَ النَّفْسِ، وَمُرَاجَعَةِ الذَّاتِ، وَاسْتِدْرَاكِ مَا فَاتَ مِنَ الخَيْرِ وَالبِرِّ، وَإِيقَادِ

(١)الحشر: ١٨
(٢)التوبة: ٣٦
(٣)يونس: ٦

الهِمَّةِ وَالعَزْمِ، لِلْمُسَارَعَةِ فِي الخَيْرَاتِ وَالصَّالِحَاتِ، يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴾[1] .

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

إِنَّ بِدَايَةَ العَامِ الهِجْرِيِّ الجَدِيدِ مُرْتَبِطَةٌ بِالهِجْرَةِ النَّبَوِيَّةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي أَتَتْ بِأَمْرٍ مِنَ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِيَبْدَأَ الإِسْلامُ بِهَا فَصْلًا جَدِيدًا مِنْ فُصُولِ تَأْرِيخِهِ. وَهِجْرَةُ النَّبِيِّ ﷺ حَدَثٌ مُتَجَدِّدٌ بِالأَمَلِ، وَالتَّخْطِيطِ وَالتَّوَكُّلِ، وَالتَّطَلُّعِ إِلَى المُسْتَقْبَلِ؛ فَكَانَتْ هِجْرَتُهُ ﷺ رِحْلَةً مَدْرُوسَةً، خَطَّطَ لَهَا وَأَخَذَ فِيهَا بِالأَسْبَابِ، مُتَوَكِّلًا عَلَى رَبِّهِ الوَهَّابِ، رَاجِيًا مِنْهُ التَّوْفِيقَ وَالتَّيْسِيرَ وَالسَّدَادَ. وَلَنَا – إِخْوَةَ الإِيمَانِ – إِذَا مَا تَأَمَّلْنَا وَتَدَبَّرْنَا فِي الهِجْرَةِ، دُرُوسٌ فِي أَهَمِّيَّةِ التَّخْطِيطِ لِحَيَاتِنَا وَأَيَّامِنَا، وَالتَّفَكُّرِ فِي خِيَارَاتِنَا، وَالتَّمَهُّلِ فِي قَرَارَاتِنَا، وَفِيهَا لِلْمُتَأَمِّلِينَ دُرُوسٌ فِي الصَّدَاقَةِ وَالوَفَاءِ، وَقَدْ صَوَّرَ لَنَا القُرْآنُ الكَرِيمُ هَذِهِ المَعَانِيَ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ وَأَبْهَاها حِينَمَا قَصَّ لَنَا مِنْ خَبَرِ الرَّسُولِ ﷺ وَصَاحِبِهِ الصِّدِّيقِ فِي هَذِهِ الرِّحْلَةِ الإِنْسَانِيَّةِ فَقَالَ: ﴿ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[2]، وَفِي الهِجْرَةِ كَذَلِكَ – عِبَادَ اللهِ – دُرُوسٌ قَيِّمَةٌ فِي الصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ، وَالمُرُونَةِ فِي التَّعَامُلِ، مَعَ الشَّدَائِدِ وَالتَّحَدِّيَاتِ، لِتَحْقِيقِ الأَهْدَافِ وَالطُّمُوحَاتِ، مَعَ الثَّبَاتِ وَالرُّسُوخِ عَلَى المَبَادِئِ وَالقِيَمِ الإِنْسَانِيَّةِ.

عِبَادَ اللهِ:

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ، لَهُ الشُّكْرُ وَالثَّنَاءُ، وَهُوَ رَبُّ الأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وَسَلَّمَ

(١)الفرقان: ٦٢
(٢)التوبة: ٤٠

وَبَارَكَ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا المُسْلِمُونَ:

إِنَّ الهِجْرَةَ النَّبَوِيَّةَ الشَّرِيفَةَ، لَمْ تَكُنْ مُجَرَّدَ تَنَقُّلٍ جُغْرَافِيٍّ، بَلْ هِيَ مَسِيرَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ نَحْوَ الأَمَانِيِّ السَّامِيَةِ، وَبِنَاءِ المُجْتَمَعِ الإِنْسَانِيِّ الشَّامِخِ، وَتَحْقِيقِ المَشَارِيعِ وَالمَصَالِحِ المُشْتَرَكَةِ، تَخَطَّتْ مَنَافِعُهَا الزَّمَانَ وَالمَكَانَ، فَانْبَثَقَ بِهَا نُورُ الأُخُوَّةِ وَالتَّعَاوُنِ، وَالتَّعَاضُدِ وَالتَّكَاتُفِ، فِي الأَزَمَاتِ وَالمِحَنِ، وَاتَّقَدَتْ بِهَا شُعْلَةُ العَمَلِ الإِنْسَانِيِّ وَالبِنَاءِ المُجْتَمَعِيِّ.

إِنَّ ارْتِقَاءَ المُسْلِمِينَ، فِي مُجْتَمَعِ المَدِينَةِ، إِلَى مَرَاتِبِ العِزِّ وَالكَرَامَةِ، لَمْ يَكُنْ لِيَحْدُثَ لَوْلَا تَحَقُّقُ الأُلْفَةِ بَيْنَهُمْ، وَتَآخِي الأَرْوَاحِ وَتَقَارُبُ القُلُوبِ، وَنَبْذُ الفُرْقَةِ وَالشِّقَاقِ، يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[1].

وَتَبْقَى الهِجْرَةُ النَّبَوِيَّةُ الشَّرِيفَةُ، وَانْطِلاقَةُ بِنَاءِ المُجْتَمَعِ فِي مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، شَاهِدَةً عَلَى أَنَّ التَّعَاوُنَ بَيْنَ أَبْنَاءِ المُجْتَمَعِ الوَاحِدِ، هُوَ السَّبِيلُ إِلَى الرُّقِيِّ وَالمَجْدِ، وَأَنَّ التَّعَاضُدَ وَالتَّكَاتُفَ طَرِيقٌ إِلَى السُّؤْدَدِ، وَأَنَّ المُجْتَمَعَاتِ وَالأَوْطَانَ تُبْنَى بِسَوَاعِدِ أَبْنَائِهَا، وَتَضَافُرِ جُهُودِهِمْ، وَتَلاحُمِ صُفُوفِهِمْ ((تَرَى المُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى)).

هَذَا وَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِينَ؛ مُحَمَّدٍ الهَادِي الأَمِينِ، فَقَدْ أَمَرَكُمْ رَبُّكُمْ بِذَلِكَ حِينَ قَالَ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴾[2].

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّم عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ نَبِيِّنَا إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِينَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ

(١) الأنفال: ٦٣
(٢) الأحزاب: ٥٦

الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وعَنْ جَمْعِنَا هَذَا بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ فِينَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُومًا.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلامَ وَاهْدِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى الْحَقِّ، وَاجْمعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الخَيْرِ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلامَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ كُنْ عَوْنًا لإِخْوَانِنَا فِي أَرْضِ الأَقْصَى المُبَارَكِ، وَكُنْ مَعَهُمْ وَثَبِّتْهُمْ وَارْبِطْ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَصَبِّرْهُمْ، وَاخْذُلْ عَدُوَّكَ وَعَدُوَّهُمْ، وَاجْعَلِ الدَّائِرَةَ عَلَيْهِ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ بِكَ نَستَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ نَستَغِيثُ أَلاَّ تَكِلَنَا إِلَى أَنفُسِنَا طَرفَةَ عَينٍ، وَلاَ أَدنَى مِنْ ذَلِكَ، وَأَصلِحْ لَنَا شَأْنَنَا كُلَّهُ يَا مُصلِحَ شَأْنِ الصَّالِحِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، اللَّهُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِ نِعمَتَكَ، وَأَيِّدْهُ بِنُورِ حِكْمَتِكَ، وَسَدِّدْهُ بِتَوفِيقِكَ، وَاحفَظْهُ بِعَينِ رِعَايَتِكَ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاء وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا في ثِمَارِنَا وَزُرُوعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ. رَبَّنَا آتِنَا في الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَات، المُسْلِمِينَ وَالمُسْلِمَات، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ مُجِيبُ الدُّعَاءِ.

عِبَادَ الله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.